

التفسير المطول - سورة النحل ٠١٦ - الدرس (٢١-٠٤): تفسير الآيات ١٠ - ١٨ ، عن التفكير في نعم الله

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٢-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علما ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس الرابع من سورة النحل، وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

ثم جاءت الآيات الكونية بعد هذه الآية تترى؛ أي تتابع، فقال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّلَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾

علاقة هذه الآيات بالآية قبلها :

سؤال : الآن هل من علاقة بين قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(سورة النحل)

وبين هذه الآيات الكونية المتتابعة، قال تعالى يصف كتابه الكريم :

﴿ الرِّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾

(سورة هود : ١)

معنى أحكمت ؛ أي ترابطت، فالذي يتأمل في آيات القرآن الكريم لا شك أنه يؤمن أن بين الآيات التي تبدو منقطعة عن بعضها، لا بد أن يكون بين هذه الآيات ارتباط بنوع أو بآخر، فما هي العلاقة بين هذه الآيات وبين قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(سورة النحل)

الآيات الكونية طريق موصل إلى الله :

أغلب الظن أن الله سبحانه وتعالى حينما قال: عليّ يا عبادي أن أبين لكم الطريق إليّ، عليّ دائماً وأبداً، في كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل وقت، وفي كل عصر، وفي كل مصر، وفي كل حين، لا بد من أن يكون الطريق سالكاً إليّ، لا بد من أن يكون الطريق مستقيماً، وموصلاً إليّ، لا بد من طريقٍ إلى الله واضح المعالم، مستقيم الوجهة، واضح الهدف، يفضي إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾

(سورة المزمل : ١٩)

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

من معالم هذه الطريق كما بينت لكم في الدرس الماضي، من معالم الطريق إنزال الكتب، من معالم الطريق إرسال الأنبياء، من معالم الطريق نصب هذه الآيات الكونية الدالة على عظمته، من معالم الطريق الشدائد التي يسوقها الله سبحانه وتعالى للناس في بعض الأحيان، من معالم الطريق هذه الآيات الدالة على عظمته .

إذاً: حينما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(سورة النحل)

هذه هي معالم الطريق، معالم الطريق أن تتأمل في هذه الآيات التي ما خلقها الله سبحانه وتعالى إلا لتكون دليلاً عليه، ما خلق ذلك إلا بالحق، كيف أن كلمة الحق تعني أنه هناك هدفاً مستقراً، هناك هدف مستقر وراء خلق السماوات والأرض .

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

إنك إذا أردت أن تفكر في آيات الله، خذ هذه الآيات التي ذكرها الله في كتابه، أولاً هو ما ذكر التفصيلات .

ربنا سبحانه وتعالى قال :

﴿ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾

ترك لك أن تفكر في الليل والنهار، ثم قال :

﴿ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ﴾

ترك لك أن تفكر في الشمس والقمر، هذه عنوانات للآيات يطول البحث فيها، كما يطول الحديث عنها، هذه تركت لك أيها الأخ الكريم .
فرينا عز وجل قال :

﴿ هُوَ ﴾

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

لا أدري ما إذا كان هناك من يتذوق كلمة (هو)، قد تقرأ أن منخفضاً جويّاً يتجه نحو البلاد، هل ترى أنه (هو) الذي ساقه إلينا؟ قد تقرأ أن نسب الأمطار في الأربع والعشرين ساعة الماضية بلغت سبعين ميليمتراً في المكان الفلاني، هل تشعر أنه (هو) خالق الكون الذي ساق هذا المنخفض، وجعله ينزل في هذا المكان بالذات ؟

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾

في آيات أخرى يقول الله سبحانه وتعالى :

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

(سورة الأنبياء : ٣٠)

الماء حياة الإنسان :

حياة البشر، وحياة النبات، وحياة الحيوان بهذا الماء الذي أنزله الله علينا من السماء .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾

ولا بد من أن تتذوق أيضاً كلمة (لكم)، لم تستفد منه عرضاً، لم ينزل لغيرك فاستفدت منه، صمم الماء خصيصاً لك أيها الإنسان .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾

هذه اللام في اللغة العربية للاختصاص، تقول : هذا الكتاب لي، أي لي وحدي، فرينا عز وجل قال :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ ﴾

(سورة النحل : ١٠)

في معرض تبين فوائد المياه قال :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾

في النهاية الماء للإنسان ولو استهلكه الحيوان والنبات :

لماذا لم يقل : أنزل من السماء ماء منه شراب لكم؟ الماء كله لكم، ولو سقى النبات فهو لكم، ولو شرب منه الحيوان فهو لكم، لأنك ستأكل الحيوان الذي يأكل النبات، فالماء الذي ينبت النبات، والنبات الذي يأكله الحيوان، هو في النهاية لك، إذاً الماء كله، ولو سقى الأرض، ولو نبت به الزرع، ولو نبت به الكأ، لو شربه الحيوان، في المحصلة والنهاية الماء لكم .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾

إن هذا الماء العذب الفرات، من هياها لنا لنشربه؟ البحار كلها ماء ملح أجاج، وكم من قصة قرأناها أو سمعناها عن أناس غرقت سفينتهم فاستخدموا قارباً للنجاة، وماتوا عطشاً، وهم على سطح البحر، لو أن الماء كان ملحاً أجاجاً، كيف نشربه؟ كيف قطر الله لنا هذا الماء بلا مقابل؟ هذا الماء :

﴿ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾

لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ

أغلب العلماء في هذه الآية على أنها تعني مطلق النبات، أو الكأ، أو النبات الذي تأكله الأنعام،

﴿ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾

معنى : تُسِيمُونَ :

تسيمون أي ترعون، إنكم ترعون أنعامكم بالكأ الذي ينبت بسبب الماء، علاقة مركبة، من أجل أن تأكل الأنعام لا بد من أن تأكل الأنعام كلاً، ومن أجل أن ينبت الكأ لا بد من أن تسقى الأرض بماء المطر، إذاً ماء المطر الذي أنبت الكأ الذي أكله الحيوان، الذي أكلته أنت، هذه النعم كلها لك.

شيء آخر :

﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ ﴾

يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ

الزرع للأنعام :

بدأ ربنا عز وجل بالأنعام التي تأكل الكلاً، وهذه في رأس قائمة الغذاء، الفقهاء حينما تحدثوا عن الأغذية الأساسية التي ينبغي أن تكون متوافرة تحدثوا عن اللحم، فإله سبحانه وتعالى بدأ بالأنعام التي هي قوام غذائنا .

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾

الزرع محاصيل غذاء الإنسان :

الزرع، المحاصيل كالقمح، والشعير، والحمص، والعدس، والبازلاء، والفاصولياء، والبقول، هذه كلها محاصيل تعد غذاءً أساساً، وقد يستطيع الإنسان تحصيل نصيبه من البروتين عن طريق هذه المحاصيل .

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾

المقصود بالزرع المحاصيل .

﴿وَالزَّيْتُونَ﴾

الزيتون :

هو الإدام، لأن الزيت أيضاً قوام الغذاء .
عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
((كُلُوا الزَّيْتِ وَأَدْهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ))

[أخرجه الترمذي]

﴿وَالنَّخِيلَ﴾

النخيل :

ثم ينتقل الله سبحانه وتعالى إلى ما يؤكل كحلوى، النخيل يعد غذاءً أساساً، وبعد حلوى، إذا أكلته بعد الغذاء فهو حلوى، إذا اكتفيت به فهو غذاء .

﴿وَالْأَعْنَابَ﴾

الأعناب :

حلوى فقط، زرع المحاصيل والإدام، ثم شجر تؤكل ثماره غذاء، وتؤكل كحلوى، ثم الأشجار التي يتفكه الإنسان بثمارها كالأعناب، ثم يطلق الله سبحانه وتعالى الأمر على أوسع أبواب هذه النعم فيقول :

﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ :

كلما وقعت عينك على ثمرة، اشتريتها، أو أكلتها، أو قدمت لك، أو نظرت إليها وهي عند البائع، اعرف معرفة يقينية أن الله سبحانه وتعالى هو الذي تفضل وأنبتها .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

لماذا كل هذه الآيات الكونية ؟

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

قد يسألني سائل: إذا كانت هذه الآيات معالم الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، كيف نفكر فيها ؟ هكذا قد يسألني سائل : كأنك تقول فكروا في هذه الآيات، تأملوا بها، كيف نفكر فيها؟ كيف نتأمل بها ؟

من منهج التفكير النظر في الشيء وعدمه :

بعضهم قال: من منهج التفكير في هذه الآيات أن تفكر في الشيء وعدمه، لو لم يكن موجوداً، وأن تفكر في الشيء وأصله، وأن تفكر في الشيء وخلاف ما هو عليه، إذا اتخذت هذا المنهج يبدو لك التفكير أمراً يسيراً، فهذا الماء أصله من أين؟ هذا الماء الذي نشره الذي أنزله الله من السماء، أصله من البحار، البحار مالحة، كيف تمت تصفيته ؟ كيف سلط الله أشعة الشمس على البحر؟ كيف أعطي الماء إمكانية التبخر بدرجات اعتيادية؟ كيف أمكن للهواء أن يحمل ذرات بخار الماء؟ كيف سلطت الشمس على البحار؟ كيف تبخر الماء بدرجات دنيا؟ كيف أمكن للهواء أن يحمل ذرات الماء؟ كيف أمكن لبخار الماء أن يتصاعد للسماء؟ كيف تشكل سحبا؟ كيف تحركت هذه السحب ؟ كيف شحنت بعض السحب شحنات سلبية، وبعضها شحنات إيجابية؟ كيف حصل الاحتكاك؟ ثم كيف عصرت هذه السحب؟ قال تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾

(سورة النبا : ١٤)

إذا فكرت في أصل الماء، وإذا فكرت في حياتنا من دون ماء، وإذا فكرت في صفات الماء غير الصفات التي هي عليه، لو أن للماء طعماً، لو أن له رائحة، لو أن له لزوجاً، لو أن سريلانه في المسام ضعيف، لو أنه تبخر بدرجة مئة، لا بالدرجة أربع عشرة، لو أن الماء لا يتمدد إذا تبرد، من منا يصدق أن حياة البشر، وحياة الحيوان، وحياة النبات متوقفة على خاصة واحدة للماء؟ إذا كان الماء يغلي، ثم بردته فإنه ينكمش، وينكمش، وينكمش، إلى الدرجة زائد أربع، عندها يزداد حجمه، وتقل كثافته، لولا هذه الصفة لما كنا نحن في هذا المسجد، لولا أن الماء إذا بردته زاد حجمه، وقلّت كثافته لما كنا في هذا المسجد، لماذا؟ لأن طبقات البحار العليا إذا تجمدت، لو أنها انكمشت وزادت كثافتها لغرقت في الماء، فكلما غرقت طبقة متجمدة تجمدت طبقة أعلى منها، إلى أن تصبح البحار كلها متجمدة، عندئذ ينعدم التبخر، وبانعدام التبخر تنعدم الأمطار، وبانعدام الأمطار ينعدم النبات، وبانعدام النبات ينعدم الحيوان وبانعدام الحيوان يموت الإنسان، فإذا فكرت في الماء فكّر في أصله، وفكّر في حياة من دون ماء، وفكّر في خلاف ما هو عليه الماء .

موضوعات كثيرة يجب التفكير فيها :

أتمنى عليكم أن تأخذوا بعض الموضوعات الكبرى للتفكير، الماء موضوع كبير، الهواء موضوع كبير، مبدأ النبات، أن تنبت الأرض نباتاً، هذه البذرة تأتيها رطوبة، يشق غلافها، ينمو رشيماً منها، لها سويق، وينمو لها وريقة، وتتغذى على ما في البذرة من مواد إلى أن تتضرب البذرة، عندئذ يأخذ هذا النبات حظه من الغذاء عن طريق التربة، النبات ظاهرة تلفت النظر، أي أنواع النبات، الحشائش، والمراعي، والمزروعات، والمحاصيل، والبساتين، والأشجار المثمرة، والخضراوات، والغابات الكبيرة، والأشجار العملاقة، وأشجار الزينة والورود، والرياحين، والحشائش الطبية، كل أنواع النباتات آية كبرى على عظمتها، تصور حياة بلا نبات، ماذا نأكل؟ تصور نباتاً لا ينتج بذوراً، كيف نعيد زراعته؟ تصور الحياة من دون هذا الشيء، تصور الشيء على خلاف ما هو عليه، تصور أصل الشيء، من منكم أكل التين؟ كم بذرة في هذه الثمرة، شعورك أنه يوجد طعم خشن، هذه كلها بذور، لا يعلم إلا الله كم في ثمرة التين من بذور، كل بذرة من هذه البذور يمكن أن تكون شجرة للتين .

إذا :

﴿ يَنْبُتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴾

إذا أردت التفكير في آيات الله فهذه هي الموضوعات، وهذا هو المنهج، اتبع المنهج وتفكر في هذه الموضوعات، موضوع الماء، موضوع النبات، موضوع المراعي .

﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾
(سورة الأعلى : ٤٠١)

ارتفاع الأسعار بسبب المعاصي وانخفاضها بسبب الطاعة :

يقول قائل : لقد رخص الجبن، ما السبب؟ السبب أن الموسم طيب في البادية، توالت الغنم وكثر، وكثر بالتالي الحليب، من الذي جعل الأسعار تنخفض ؟ طبعاً هناك حديث شريف يقول عن التسعير، عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

((غَلَا السَّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعَرَ لَنَا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ الْبَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ))

[الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد]

بمعنى أن الله سبحانه وتعالى إذا تفضل علينا بسنة خصيبة، ومرعى خصيب، تزداد الأغنام، ويزداد نتاجها، وتنخفض الأسعار، إذا ربنا سبحانه وتعالى أرادنا أن نفكر في هذه الآيات :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة النحل : ١١)

ويتابع الله سبحانه وتعالى بقية الآيات :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(سورة النحل : ١٢)

وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ

علاقة النبات بالليل والنهار والشمس والقمر :

هناك علاقة بين إنبات النبات والليل والنهار، هذه العلاقة لا يتسع هذا الدرس إلى بسطها، وهناك علاقة بين إنبات النبات والشمس والقمر .

قد يسأل سائل: كيف جاءت آية الليل والنهار والشمس والقمر بين آيات الزرع، والزيتون، والنخيل، والأعشاب ومن كل الثمرات، وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً، نحن في الأرض، لماذا انتقلنا إلى السماء، نحن في الأرض :

﴿ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾

نظام الليل والنهار :

نظام الليل والنهار أن تكون الأرض كرة، وأن تكون بالحجم المناسب، وأن تدور حول نفسها، وأن يكون محورها مائلاً، من ميل المحور تنشأ الفصول، ومن دورانها على محورٍ شبه متعامد مع مستوى دورانها حول الشمس ينشأ الليل والنهار متعاقبين .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

(سورة فصلت : ٣٧)

لو أن محورها متوازٍ مع مستوى دورانها لكان هناك ليل ونهار، ولكنهما ثابتان، ليل إلى الأبد، ونهار إلى الأبد .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾

(سورة القصص : ٧١)

لو أن الأرض وقفت، ولم تَدُرْ حول نفسها لكان هناك ليل ونهار، ولكن ليل سرمدي، ونهار سرمدي، أو أن الإنسان اضطر أن يهاجر في كل عام مرتين، من نصف الكرة إلى نصف الكرة، وفي هذا مشقة كبيرة، لو أن الأرض وقفت، لو أنها دارت على محور متوازٍ مع مستوى دورانها حول الشمس، دارت هكذا، والشمس من هنا، لكان هناك ليل ونهار، ولكن هذا الليل سرمدي والنهار سرمدي .

﴿ إِنْ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾

(سورة يونس : ٦)

تعاقب الليل والنهار آية عظيمة :

الآية في الليل والنهار وفي اختلافهما، ومعنى اختلاف الليل والنهار أي : إن النهار يعقب الليل، والليل يعقب النهار، وهذه آية كبرى، وأنت في بلدك يأتيك النهار، ثم يأتيك الليل في الليل، فتستريح، وفي النهار تعمل، لو أن دورة الأرض حول نفسها كانت سريعة جداً لكان الليل ساعة والنهار ساعة، ما تفعل بهذه الساعة ؟ تستيقظ لتأكل طعام الصباح، وتنتقل إلى العمل، جاء الليل، ماذا تفعل ؟ تعود إلى البيت من أجل أن تأخذ قسطاً من الراحة، يأتي الصباح ! لكن سرعة دوران الأرض حول نفسها سرعة معقولة، اثنتا عشرة ساعة، تأكل، وتنتقل إلى عمالك، وتبذل جهداً يستنفذ طاقتك، وتعود بعدها إلى البيت، عندئذ تغيب الشمس، إذاً الليل والنهار آية، دورة الأرض حول نفسها، دورتها حول محور شبه عمودي مع مستوى الدوران، دورتها حول محور مائل، لو لم يكن هذا المحور مائلاً لكانت هذه المنطقة صيفاً سرمدياً، وهذه المنطقة شتاء سرمدياً، وهذه المنطقة ربيعاً سرمدياً، لكن ميل

المحور حينما تدور الأرض حول الشمس، بمحور مائل تنتقل عاموديه الشمس من منطقة إلى أخرى، تختلف أوضاع الأرض بالنسبة للشمس، عندئذ يكون الصيف والشتاء .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾

فمن أجل أن تستطيع التأمل والتفكر في هذه الآيات تصور حياتنا من دون ليل أبداً، نهار سرمدي، أو تخيل أن حياتنا على وجه الأرض ليل سرمدي، ماذا تفعل؟ الآن تصور الشيء وعدمه، تصور الشيء وخلاف ما هو عليه، النهار ساعة، الليل ساعة، النهار ستة أشهر، كما هي الحال في القطب، ستة أشهر، إذا طال على إنسان الليل لا يأتي الصباح إلا بشق الأنفس، فإذا كان الليل ستة أشهر ماذا نفعل؟

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾

الشمس ، المصباح المنير :

والشمس هذا المصباح المنير ينير كل الأرض، هذه المدفأة المثالية لكل الأرض، هذا الدواء الناجح لكل الأرض، هذه الساعة اليومية لكل الأرض، مصباح، ومدفأة، ودواء، وساعة لكل الأرض، تخيل الحياة من دون الشمس، تنقلب الأرض إلى قبر جليدي، تهبط فيه الحرارة إلى ثلاثمئة وخمسين درجة تحت الصفر .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

(سورة فصلت : ٣٧)

من جعل الشمس مناراً؟ من نصبها ديناراً؟ من علقها بالجو ساعة؟ يدب عقربها إلى قيام الساعة، من؟

﴿ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾

النجوم ، التقويم اليومي :

عندنا تقويم يومي، القمر تقويم شهري، والشمس ساعة يومية، والبروج تقويم سنوي، في كل شهر تمر الأرض على برج في السماء، في شهر كانون الثاني البرج الفلاني، شباط البرج الفلاني، قال تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

(سورة البروج : ١)

إنه تقويم يكلف آلاف المجرات، مجرات كلها من أجل أن يكون لك تقويم، الشمس ساعة يومية، والقمر تقويم شهري .

مسار الأرض حول الشمس تقويم سنوي، تعرف في كل وقت أين أنت من السنة،

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

(سورة البروج : ١)

﴿ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾

والإنسان في الليل كيف يهتدي إلى طريقه ؟ عن طريق النجم، مَنْ جعل هذا النجم نجم القطب في مكانه ثابتاً ؟ دائماً نحو الشمال، حيثما رأيتَه، واتجهت إلى سَمْتِه فأنت باتجاه الشمال، نجم القطب والدب الأكبر، والدب الأصغر، وما إلى ذلك .

﴿ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

هنا سؤال: لماذا في القسم الأول :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

وفي القسم الثاني :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

مرتبة الفكر ومرتبة العقل :

المرتبة الأولى : مرتبة التفكير، مرتبة التفكير محصلتها قناعة أن هذا الكون لا بد له من خالق .
المرتبة الثانية : مرتبة العقل، هذه المرتبة تعني أنك إذا تابعت التفكير، وأطلت أمدَه، وتعمقت فيه تتقلب هذه الحقائق من مستوى الفكر إلى مستوى القلب، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

(سورة الأعراف)

فالقلب مكان المشاهدة، الرؤية القلبية، بعد الرؤية لا كفر ولا زيغ، ولا انحراف، ولا نكسة، فلذلك مرتبة العقل أعلى من مرتبة الفكر، تفكر فتعقل .

﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾

﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾

سبحان الله! هذه الآية قلَّ مَنْ يعرف قدرها :

﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾

نعمة اللون :

نعمة اللون لا يعرفها الناس إلا إذا فقدوها، لو أن لون الثمرة بلون الورقة، لو أن التفاح مثلاً لونه كلون أوراقه تماماً، تقطف نصف الثمر، ويبقى نصف الثمر الآخر على أمه، ولا تراه، ولكن اختلاف

اللون، أصفر فاقع، والورق أخضر داكن، تهدي إلى التفاح من لونه، وهذه تقاحة ذات طعم معين، لأن لونها أصفر، وهذه ذات طعم آخر، لأن لها لون أحمر، فقال العلماء : اختلاف الألوان دليلٌ على اختلاف الأنواع، الحديد له لون، النحاس له لون، القصدير له لون، الرصاص له لون، الكبريت له لون، اختلاف الألوان تهدي به إلى اختلاف الأنواع، حتى الحديد له ألوان عديدة، له ألوان بعدد أنواعه، ويعدد مصادره، الحديد ليس نظامياً، ما هو الدليل ؟ من لونه، الذي تصنع المؤسسة له لون خاص، من مصدر، من دولة، وهذا له لون خاص، إذا باللون تعرف كل شيء، تعرف صحة الإنسان من لونه أحياناً، تعرف نضج الفاكهة من لونها، تعرف أن هذه الثمرة يانعة من لونها، اللون علامة النضج .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(سورة الأنعام : ١٤١)

متى يثمر؟ متى ينضج؟ من غير لونه؟
إذا :

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ ﴾

معنى ما ذراً لكم ؛ أي ما خلق لكم .

﴿ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾

الأزهار كم من لون ؟ هذا النوع من الزهر منه أبيض، ومنه أحمر داكن، ومنه زهر، ومنه أصفر، كل إنسان يميل إلى شيء، الورد الواحد ألوان، اللون الواحد أنواع، النوع الواحد درجات، العين الإنسانية تفرق بين ٨٠٠ ألف لون أخضر، فإذا أمكن أن ندرج اللون الأخضر ٨٠٠ ألف درجة فالعين البشرية السليمة المدربة تستطيع أن تفرق بين لونين من هذه الألوان ٨٠٠ ألف !

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾

ونحن لو التقطت لنا صورة لظَهَرْنَا في الصورة جميعاً بلون واحد، لأن آلة التصوير عاجزة عن إعطاء الفروق الدقيقة بين الألوان، ولكن العين المجردة إذا نظرت إلى طلاب في صف، أو إلى أناس مجتمعين في مكان لوجدت أن هناك ألواناً تعلق جباههم بعددهم، كل إنسان له لون، وهذا من فضل الله على الإنسان، والإنسان فرد لا يتعدد .

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾

الخشب ألوان، لون الخشب المشمش لون جميل، يشبه لون اللحم، لو وضعت اللحم على خشب جوز لما كان هناك قابلية لتناوله، لون خشب المشمش له لون جميل، خشب التوت له لون، خشب الزان له لون، خشب الشوح له لون، السنديان له لون، خشب كل شجرة لون .

كل فاكهة لها لون، الفاكهة الواحدة ألوان، العنب كم من لون ؟ عنب أسود، وعنب بلدي أصفر، وعنب أخضر، وعنب متناول، ألوان وأشكال، وطعوم، ونكهات، فصار اللون دليلاً لاختلاف الأنواع، واختلاف الدرجات، واختلاف النضج

﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾

مرتبة التذکر :

هذا الذي فكر، ثم عقل، كلما وقعت عينه على شيء تذکر بالمعرفة التي حصلها، دائماً هو ذاکر .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾

(سورة الأحزاب : ٤١)

التذکر درجة عالية، باعتبار فكرٍ سابق وعقل، كلما وقعت عينه على شيء تذکر فضل الله، تذکر رحمة الله، تذکر حكمة الله، تذکر لطف الله :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾

الآن أكثر التحاليل الطبية عن طريق اللون، يعطي مادة لهذا المفرد مثلاً، يتغير لونها، إذا يوجد معه سكر .

حتى علم الفلك مبني على اللون، أبعاد النجوم كلها عن طريق التحليل الضوئي، الطيف، طيف الشمس، نعرف من طيف الشمس مكوناتها، ومعادنها، وبعدها عنا، وحركتها، وسرعتها، علم قائم بذاته عن طريق اللون، فكلما تعمقت في اللون وجدت أن اللون نعمة من نعم الله الكبرى، لذلك الصورة الملونة أجمل بكثير من الصورة غير الملونة، ولا يعرف هذا إلا من يعمل في المطابع، يقول لك : فرز الألوان عملية معقدة جداً، ثم تحميص الصورة، ثم صنع لوائح لكل لون، فإذا انزلق اللون قليلاً شوهت الصورة، شيء دقيق جداً .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾

البحر أربعة أخماس اليابسة :

هذا البحر أربعة أخماس اليابسة، عمقه في خليج مريانة في المحيط الهادي اثنا عشر ألف متر، بعض العلماء قال : لو أن كرة قطرها متر، وأردنا أن نمثل عليها أعلى ارتفاع على سطح الأرض، وأعلى انخفاض بالبحر، لما أمكننا أن يكون هذا التمثيل بسنتمتر واحد، أعلى منطقة بالأرض تشكل

نصف سنتيمتر، وأعمق نقطة بالبحر تشكل نصف سنتيمتر آخر، إذا أخذنا كرة قطرها متر لنمثل عليها أعلى نقطة، وأقل نقطة .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾

لكن البحر مسخر لنا، لو أنه هاج وماج لفضى علينا .
لو أن الكتلة الثلجية في القطبين ذابت، لو أن انفجاراً حصل في الشمس فأذاب الكتل الجليدية في القطب الشمالي والجنوبي لارتفع البحر تسعين متراً، فغمر معظم المدن الساحلية، وكثيراً من المدن الجبلية ! تصور إذا ارتفع البحر تسعين متراً، إلى أين يصل؟ يأكل مجموعة كبيرة من القرى والمدن على ساحل البحر، فرينا عز وجل سخره لنا، إلا إذا كان الذين يركبونه في ضلال ميين، عندئذ يريهم الله آياته عن طريق موج البحر، موج كالجبال .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾

الفائدة من طراوة لحم السمك :

هنا العلماء استنبطوا أن لحم السمك طري، إذا يجب أن يؤكل فوراً، لذلك هناك فرق كبير بين سعر السمك المثلج والسمك الطازج، وقد يسأل سائل : لِمَ هذا الفرق الكبير ؟ سبحان الله ! أكل السمك بعد أمد طويل من صيده لا طعم له، أما إذا أكل طازجاً فإن له طعماً عجبياً، من هنا أشارت هذه الآية إلى ذلك، لأنه طري، يجب أن يؤكل فوراً، أما كيف يؤكل طرياً ؟ هذا موضوع آخر .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا

ما هو اللؤلؤ ؟ هذا المحار يوجد في داخله حيوان، إذا دخل إلى المحار جسم غريب كيف يدافع المحار عن نفسه ؟ يفرز مادة كلسيه فسفورية، إلى أن تصبح هذه المادة على شكل كرة، هذه الكرة هي حبة اللؤلؤ، لكن هذا التفسير يبعدنا عن روح القرآن الكريم، الحيوان لم يفرز هذه المادة ليدافع بها عن نفسه، بل فرزها مسخرة من قبل الله عز وجل كي تكون لؤلؤة نتزين بها، فهذا الحيوان مسخر، لذلك صيادو اللؤلؤ يغوصون في أعماق البحار ، ويستخرجون هذه المحارات، ويفتحونها، من كل مئة محارة يجدون لؤلؤة واحدة، لهذا السبب اللؤلؤ غالي الثمن .

هذا الحبل مثلاً ثمنه ثلاثون ألفاً، بعض المختصين باستخراج اللؤلؤ خطر لهم خاطر، أن يأخذوا المحارات ويفتحوها، ويضعون فيها حبة من الرمل الصغيرة جداً، ثم يعيدونها إلى البحار، عن طريق صناديق، لها فتحات كبيرة، وهذه الصناديق مربوطة بحبال إلى السفن، يحركها من مكان إلى مكان، وبعد حين من الزمن، يستخرجون هذه الصناديق، ويفتحون المحارات فإذا بها لؤلؤة، لكن هذه اللؤلؤة سموها: " لؤلؤاً مزروعاً "، اللؤلؤ المصنوع غير المزروع، غير الطبيعي، الطبيعي إذا أخذوا محاراً

من قاع البحر، وعثروا فيه على لؤلؤة، فهذا أعلى أنواع اللؤلؤ، أما إذا وضعوا بالمحارة حبة رمل، هذا اللؤلؤ أقل ثمناً بكثير من الطبيعي، لأن فيه سواداً، لأن اللؤلؤ شفاف تقريباً، لونه صدفى فسفوري شفاف، أما المزروع ففيه نقطة سوداء، هذه التي تخفض من ثمنه، أما اللؤلؤ المطبوخ طبخاً فهذا ثمن الحبة رخيص جداً (بلاتين) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾

مَنْ يَلْبَسُ الْحَلِيَّ ؟

هناك سؤال: من يلبس الحلي؟ النساء أم الرجال؟ في الآية الرجال، هل رأيتم إنساناً وضع حبل لؤلؤ؟ ذهب إلى عمله وهو واضع حبل لؤلؤ على صدره؟ ليس هذا وارداً، فلم لم يقل الله عز وجل: وتستخرجوا منه حلية تلبسونها نساءكم، أو تستخرجوا حلية لنساءكم تلبسوها؟ قال تعالى:

﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾

أكثر المفسرين في هذه الآية على أن هذا الحلي التي تستخرج من البحار، وتزين بها النساء من أجل الرجال، فالفائدة في النهاية تعود للرجال .

بعضهم قال: لشدة المخالطة بين الرجال والنساء، فأقرب إنسان للرجل زوجته، لشدة المخالطة، وكأنه هو يرتدي هذا الحلي، أو كأن الفائدة تعود إليه بهذه الزينة .

وهناك رأي آخر، لأن الله عز وجل أمر النساء بالحجاب، فلا ينبغي أن يذكر النساء في القرآن الكريم وهن متحليات باللؤلؤ، هذا يتنافى مع منطوق كتاب الله، فأخفى موضوع النساء، وقال:

﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾

وهناك شيء آخر :

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ ﴾

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ

أين نظرية أرخميدس من نص القرآن؟

هذه دافعة أرخميدس، إياكم أن تظنوا أن أرخميدس له الفضل فيها، الفضل لله عز وجل، اكتشف أرخميدس أن في الماء قوة نحو الأعلى، جربها؛ املاً دلواً من الماء، إذا كان عندك بحرة بالبيت، ثم اغمس هذا الدلو المملوء ماء في هذه البحرة، تحس أنه ذهب نصف وزنه، أين ذهب وزنه؟ في الماء قوة نحو الأعلى، لولا هذه القوة لما أمكن أن يكون البحر طريقاً دولياً بين القارات، أن تكون على البحر سفينة من خشب، أو من حديد، الآن أحدث باخرة مليون طن! ألف ألف!! كنت أسمع

ثلاثمئة ألف طن، أربعمئة ألف طن، بالسبعينيات سبعمئة ألف طن، بالثمانينيات مليون طن، مليون طن من البترول تمخر عباب البحر !! لو أردنا أن نعمل طريقاً بين أمريكا وبين اليابان كم يكلف الطريق ؟ سمعت عن جسر، طريق بري بين دولتين عربيتين، إحداهما في البحر، البحرين والسعودية، سمعت أنه كلف ثلاثة آلاف مليون ريال أو دولار !! مبلغ ضخم .

هذه الطرق الممهدة في البحار، كل المحيطات طرق بين الدول .

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

وترى الفلك مواخر فيه يعني أن يكون البحر مسخراً، أن يستخدم طريقاً بين القارات، وبين الدول، وبين الشعوب، لذلك يعد الشحن البحري أرخص أنواع النقل للشحن، أما الطرق البرية فتكلف كثيراً، يكلف شقها، وتعبيدها، وصيانتها، ربنا عز وجل جعل البحر أداة اتصال بين القارات لا تكلف شيئاً، وجعل المراكب تتسع لأعلى نسب في الحمولات .

﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾

أي في التجارة، لنقل البضائع، وبيعها وشرائها، واستيرادها وتصديرها،

﴿ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

أنت تشرب الشاي رغم أننا لا نزرعه، هذا مستورد، نُقِلَ عن طريق البحر، وأكثر المواد الأساسية، الحديد، الخشب، المواد الغذائية، الصناعية، المواد الأولية، كلها تصلنا عن طريق البحر، إذاً البحر من فضل الله سبحانه وتعالى .

﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ

الآن بعد أن تحدث الله سبحانه وتعالى عن نعمة الماء، ونعمة النبات، ونعمة الحيوان، البر والبحر، وعرض في أثناء الحديث عن هذه النعم بالليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم، تحدث عن الجبال فقال :

﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾

الجبال تثبت للأرض حتى لا تضطرب :

الأرض في أثناء الدوران لابد من مراكز ثقل عليها من أجل ألا تضطرب في أثناء الدوران، وهذا يعرفه جيداً من عنده عجلة، العجلات أثناء الدوران السريع تضطرب، لابد من وزنها، وضبطها بقطعة من رصاص صغيرة من أجل أن تبقى مستقرة في دورانها، فربنا عز وجل جعل الجبال رواسي للأرض :

﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾

أي لئلا تميد بكم، لئلا تضطرب بكم، السكون كامل الدليل، أن هذا البناء إلى سنوات طويلة، لو أنه مضى على بنائه مئات السنين فهو هو ؛ لو كان في الأرض اضطراب لما بقي على حاله .
إذاً: الأرض تدور بسرعة هائلة، ومع ذلك فهي مستقرة بسبب هذه الجبال الرواسي .

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾

وَسُبُلًا

أما حكمة كون الأنهار جاءت بعد الجبال، فلأن الجبال فضلاً عن أنها رواسي بالأرض فهي مستودعات لمياه الأنهار، فبعض الأنهار مثل الأمازون كثافته ثلاثمئة ألف مكعب في الثانية، من أين تأتي هذه الأمطار؟ أين مستودعاتها؟

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾

أهمية الانتفاع من الفراغ :

الطرق : هناك طرق بين القارات، بين البلاد، تجد سلسلة جبلية حادة في بعض الأماكن مصدعة بطريق، فهذه الطرق من صنع الله سبحانه وتعالى .

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ﴾

وَعَلَامَاتٍ

كل شيء في الكون له علامة :

كل شيء له علامة، الكمأة هذا الطعام النفيس الذي يوجد تحت الأرض، كيف يُهتدى إليه ؟ من يعمل في هذا الحقل يخيرك عن ارتفاع في التراب أقل من سنتمتر، تحت هذا الارتفاع الصغير تجد ثمرة الكمأة، لا يوجد شيء في الأرض إلا وله علامة ؛ أنواع الخضراوات، أنواع المحاصيل، هذا القمح نوعه الفلاني له علامة، فرينا عز وجل جعل لكل شيء علامة، وهذا من فضل الله تعالى، لا تشتري العنب حتى يسود، والحب حتى يشتد، له علامة، العسل الصافي له علامة، المخلوط بالقطر له علامة، الزيت الصافي له علامة، المخلوط بالنباتي له علامة، كل شيء له علامة، لولا العلامات لضاعت الأمور .

طبعاً التحليل أيضاً عن طريق العلامات .

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

لا يستوي المخلوق مع الخالق أبدا :

هل يمكن أن يتوازي خالق مع مخلوق؟ كيف تطيع هذا المخلوق وتعصي الخالق؟! كيف ترضي هذا المخلوق، وتعضب الخالق؟! كيف تخاف من هذا المخلوق، ولا تخاف من الخالق؟!

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

أيمكن أن يستوي خالق ومخلوق؟ خالق الأكوان، خالق الحيوان، خالق الإنسان، خالق النبات، خالق السماوات والأرض، خالق المجرات، خالق الشمس والقمر، خالق الليل والنهار، أيستوي هذا الخالق العظيم مع مخلوق؟ لا يملك لنفسه نفعاً أو ضراً؟ فضلاً عن أن يملك لغيره؟ أتعبده من دون الله؟ إنسان يطيع مخلوقاً، ويعصي خالقاً؟ كم هو أحمق؟! كم هو جاهل؟! كم هو خاسر؟! كم هو غبي؟! .!

﴿ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ

رَحِيمٌ

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

الفائدة من النكرة المضافة : نِعْمَةُ اللَّهِ

أجمل ما في هذه الآية أن الله تعالى لم يقل: وإن تعدوا نِعَمَ الله، لا، وإن تعدوا نعمة ؛ لو أنك ذهبت لتعدّ فوائد نعمة واحدة لم تحصيها، الهواء جزء في نعمة واحدة، الماء نعمة واحدة، عدم تقلص الماء، أو عدم ازدياد حجم الماء، لو أن هذه النعمة قُفِدَتْ، لا تحصي الخيرات التي تتعدم، من انعدام جزء النعمة، إذا ذهبت لتعدّ فوائد نعمة واحدة، نعمة البصر .

﴿ لَا تُحْصُوهَا ﴾

ما قولك ؟

هذه :

﴿ لَا تُحْصُوهَا ﴾

لها معنى دقيق، لم يقل الله عز وجل : لا تشكروها، بل قال :

﴿ لَا تُحْصُوا ﴾

إذا جاءت أحدنا هدايا بمناسبة زواجه، ألا يمكن أن يحصيها ؟ أيهما أهون ؟ أن يحصيها أو أن يرد مقابلها ؟ إذا كان صعباً أن تحصيها فكم يكلفك الرد عليها ؟ أن تكافئ بمثلها ؟ فرينا عز وجل لم يقل : لا تشكروها، بل قال :

﴿ لَا تُحْصُوا ﴾

لم يقل : نعم الله، بل نعمة واحدة .

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

نعمة البصر، لو أنك أمضيت الحياة كلها في تعداد نعمة البصر فلا تحصي فوائدها، فضلاً عن أداء شكرها، فإن كنت لا تحصي فوائدها فمن باب أولى أنك لا تتمكن من أداء شكرها ، لذلك :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

هذه الآيات اقرؤوها، أعيديوا قراءتها، احفظوها، اقرؤوها في الصلاة، اجعلوها منهجاً للتفكير، على مدار شهر، كل يوم فكر بواحدة منها، وفق المنهج، فكّر بالنعمة وعدمها، وفكر بالنعمة وخلاف ما هو عليه، وفكّر بالنعمة وأصلها، بالنعمة وعدمها، والنعمة وخلاف ما هي عليه، والنعمة وأصلها، إذا أمضيت كل أسبوع في آية واحدة التفكير الصباحي بعد صلاة الفجر، فإنك لا شك تكون قد حققت الهدف من ذكر هذه الآيات في كتاب الله سبحانه وتعالى .

والحمد لله رب العالمين